مجلة الرائد

العدد : ٢٣٣ الموافق في ذو القعدة ١٤٢٢ هجري ٢٠٠٢/١ ميلادي

| عنوان المقال : المسلمون بين ظلم الأعداء والتقاعس عن الواجبات | الكاتب : عبد العزيز بلحاج |
|---|---|

في عصور الانحطاط الأخيرة توالت المصائب والأزمات على المسلمين ، ونزلت عليهم من كل حدب وصوب ، وتفشت في أوساطهم شتى الأمراض ؛ فهوت الهمم ووهنت العزائم فَعَزَّ الدواء ، فاتفق القوم بالإجماع على كبش فداء يُحيلهم إلى التقاعد ويُحلّل لهم التقاعس ، فقالوا : كل ما حصل لنا وينزل بنا سببه المؤامرات الخارجية وكيد الكائدين .. فعلقوا على مشاجبها كل شيء حتى الإهمال والتقاعس ..! والأمر الجلي الذي لا يختلف حوله اثنان أن مظالم المسلمين كثيرة لا تعد ولا تحصى عبر التاريخ ، ولا سيما في عصرنا الحالي ، والمؤامرات على الأمة الإسلامية قديمة ومستمرة .. فالظلم ينزل بالمسلمين ولا شك في ذلك ، ولكن المحزن والمعضلة الكبرى تكمن في مواقف المسلمين السلبية تجاه أزماتهم ؛ فيكتفون بالبكاء والنحيب ويستلذون دور الضحية أثناء الملمات ، دون العمل الإيجابي لرفع الظلم والبحث عن مخارج وحلول لأزماتهم .

إننا معشر المسلمين نستعذب دائماً - وخصوصاً أثناء الأزمات - الكلام عن المؤامرات الخارجية وكيد الكائدين ، ونستثقل الكلام عن أوضاعنا المتردية ، ونقد ذواتنا وعرض أعمالنا وسلوكياتنا السلبية للتمحيص والمحاسبة ، ثم المراجعة والتصحيح ما أمكن منها . وإذا كان غيرنا يحسن استغلال الأزمات واستثمارها لتحقيق بعض المآرب .. فنحن بالعكس من ذلك نحسن الصياح وتفسير المؤامرات ولوم الآخرين ، ونكون بذلك قد أرحنا ضمائرنا وأعفينا أنفسنا من أي عبء آخر .

وإذا نظرنا إلى هذه الظروف العصيبة التي يمر بها العالم كافة بعد التفجيرات التي حدثت في أمريكا يوم الثلاثاء ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م ، والتي لا تزال تداعياتها تجوب أصقاع العالم من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه ، وجدنا أن المسلمين هم المتأثرون في الدرجة الأولى بتداعيات هذه الأزمة ، فقد هزَّت كياناتهم دولاً ومؤسسات وحركات وتيارات فكرية وسياسية واقتصادية في مختلف الأقطار ، وتضرر المسلمون كثيراً كما تأثر الإسلام ديناً ودعوة في كل العالم ، وعاد لِيَجْلب اهتمام الناس وتُسلَّط عليه الأضواء من كل جهة ، وصار حديث الساعة لدى الخاصة والعامة ، واغتنمت جهات

مغرضة كثيرة هذه الظروف للنيل من الإسلام ونفث سمومها وضغائنها على الإسلام وأهله ، وإثارة الكراهية والفتن والشبهات حول كل ما هو إسلامي .. ولم تَخْلُ هذه الفترة من أصوات كثيرة تعالت في الغرب، مُنصفة للمسلمين ومناصرة لقضاياهم ..

وفي هذه الظروف أصبح المسلمون مُستهدفين على مختلف المستويات ، وازداد الضغط جلياً على تيارات الصحوة الإسلامية ومؤسساتها الدعوية والخيرية أو غيرهما ، ووُضعت تحت المجهر ، وتمَّ اصطياد الثغرات والعثرات بلا تريث ولا انتظار في إطار مكافحة الإرهاب .. ومع هذه الأحداث كثُر الكلام في مجالس المسلمين كالعادة عن المكائد والمؤامرات ، وازداد القيل والقال في اللقاءات والمقالات ؛ وقد زال النقاب عن العداء للإسلام ، وصارت الحملات عليه جهاراً نهاراً ، وسقطت الأقنعة وانكشف السر المكنون لخاصة المسلمين وعامتهم .. ثم يستسلم الجميع للواقع الظالم .. ولا حول ولا قوة إلا باللّه !! .

وهذا النوع من الشعور خطير للغاية وقاتل للهمم والعزائم ، ويُرسِّخ الإحباط واليأس في النفوس ؛ فالذين يشعرون بأن الجميع يتآمرون عليهم وهم دائماً الضحايا ، يُصابون بالعجز والشلل عن الفعل والحركة ، ويُعفون ذواتهم من المسؤولية ، وبالتالي تصبح أعمالهم عبارة عن ردات فعل آنية تشتعل حماسة ثم سرعان ما تنطفئ حسب الأحداث والمستجدات ، وهذا النوع من التفكير لا يقود بتاتاً إلى حل المشاكل والخروج من الأزمات ، بل يجعلنا نستمرئ الذل والهوان ونتقبل تخلفنا وعجزنا بكل ارتياح ، كأن الأمر ضربة لازب وقدرٌ لا نملك معه حيلة !

فنظن أن المشكلة كلها تكمن في مؤامرات الآخرين ، ونتصور أن الحضارة الإسلامية أيام عزتها وقوتها لم يكن وراء تفكيكها سوى تآمر الأعداء عليها .. وأن بلاء المسلمين ومصائبهم في الحاضر ليس وراءها سوى العوامل الخارجية من القوى الإمبريالية والاستعمارية والصهيونية .. وما إلى ذلك ، فنحن

مستعدون لتوريط كل العالم بحاضره وماضيه في مشاكلنا ، ولا نبحث عن الخلل في داخل صفوفنا ونفوسنا .

وإذا كان حال العالم لا يُعجبنا وننتقده دائماً ، فأوضاعنا هي على أسوأ حال وأولى بالنقد والتصحيح ، فإذا نظرنا إلى أحوالنا معشر المسلمين فسنجدها سيئة جداً جداً : فالنزاع والشقاق قد سريا في كل أطرافنا وعلى كل المستويات .. والتخلف في كل المجالات ، والانشغال بالمصالح الخاصة والتفاهات ، وتفشي الجهل والفوضى في حياتنا الفردية إلى كبرى مؤسساتنا .. بكلمات موجزة : نحن معشر المسلمين بكل أنواعنا وأشكالنا ، حكومات وشعوباً ، لم نرقَ بعد إلى مستوى عصرنا ، ولسنا أهلاً لمجابهة مخاطر المرحلة التي تمر بها أمتنا .

وإذا حصرنا المجال حول المسلمين المقيمين في الغرب - حتى نكون أكثر واقعية - فسنجد بأن معظم المشكلات التي نعاني منها وبعض الالتباسات التي نشكو منها في الغرب قد ساهمنا في تثبيتها ؛ إما بتقديم نماذج سلبية ومشوهة عن الإسلام والمسلمين تكرس الأحكام المسبقة الموجودة لدى الغرب ، وإما بتقاعسنا في القيام بالواجب وعرض الأحسن والتقدم نحو الأفضل . وإذا كنا تألمنا جميعاً لما راج في وسائل الإعلام وسرى على أفواه الساسة والعامة من تهم باطلة وافتراءات على الإسلام والمسلمين ، فقد اكتفى معظمنا بربطها بالقوى الصهيونية والمؤامرات علينا كالعادة ، ولم نطرح على أنفسنا السؤال ؛ عما قدمناه لغيرنا من مواطني هذه البلاد لإيصال الحقيقة وكشف الزيف والأباطيل ؟ وعن مدى تورطنا في هذه الصور المنفرة بتصرفاتنا وسلوكياتنا السلبية وسوء عرضنا للإسلام ؟!

وقيل أيضاً في أعقاب الأحداث الأخيرة في أمريكا أن الكتب حول الإسلام قد نفدت من الأسواق ، فما هي الكتب المعروضة في الغرب والتي كتبها مسلمون بإخلاص وأمانة وعرضوا فيها صورة الإسلام الصافية دون شوائب ولا خلفيات ؟ وهل هيأنا الظروف لمثل هذه الواجبات أو حتى فكرنا في هذا المجال المهم للغاية ؟ أم أن الاهتمام بالعملة الصعبة فقط جعل كل ما دونها صعباً ؟!

وإذا كنا نكثر الكلام عن اللوبي الصهيوني وإنجازاته الخيالية ، فهل فكرنا في إنشاء قوة ضغط موحدة تشمل جميع فئات المسلمين ؟ لنيل حقوقنا والتعاون على البر فيما ينفعنا وينفع غيرنا ؟! أم أن حب الذات وحب التميز والأثرة طغى علينا أفراداً وجماعات

وإذا كنا نشكو من ظلم وسائل الإعلام وانحيازها ضدنا ، فكم أنشأنا في الغرب من وسيلة إعلام سواء المرئية أو المسموعة أو المكتوبة عبر عشرات السنين من إقامتنا ، وبهذه الأعداد الهائلة من المسلمين ؟ وهل سعينا لهذه الأساليب المؤثرة بامتياز في الأوساط الغربية ؟

وإذا كنا نهاجم دائماً تحيز المثقفين والسياسيين .. وعدم إنصافهم لنا ، فما مدى انخراط المسلمين في الأوساط الثقافية والسياسية .. والتأثير فيها ؟ . وحتى التطورات الإيجابية لصالحنا في أعقاب الأحداث الأخيرة لا زلنا لا نملك الشروط الضرورية للاستفادة منها وتوظيفها في الاتجاه الصحيح ! . والأصوات التي ارتفعت منصفة المسلمين انطلق معظم أصحابها من الرؤية الموضوعية وحرّكتهم ضمائرهم الحية ولم نعمل نحن المسلمين في هذا الإطار جُهداً يُذكر لكسب هؤلاء والتعاون معهم لتبيان الحقيقة ، وحتى عدم إنصاف الآخرين لنا لا يرجع بالضرورة إلى أنهم يُعادوننا أو يدعمون أعداءنا ، وإنما قد يكون سبب ذلك تقصيرنا في إيصال الحقيقة إليهم ، إضافة إلى تصرفاتنا الهوجاء والخاطئة التي تعطي مبررات لكل ما يشاع حولنا .. وهذا النبأ السار الذي طالعتنا به وكالات الأنباء والذي يخص مسألة الذبح الشرعي للمسلمين في ألمانيا لعبرة لنا ، بحيث قررت المحكمة الدستورية الاتحادية في ألمانيا في يوم الثلاثاء ٢٠٠٢/١/١٥م السماح بذبح المواشي والطيور بدون تخدير على الطريقة الإسلامية ؛ وهذا لم يأت إلا بتضافر جهود المسلمين وتكاتف مؤسساتهم : كالمجلس الأعلى للمسلمين ومجلس الإسلام ، فلطالما نعينا حظنا البئيس في مسألة الذبح نحن المقيمين في ألمانيا ؛ فكيف يسمح لليهود بالذبح ولا يسمح لنا ؟ وحملنا المسؤولية كما جرت بذلك العادة لظلم المؤسسات الحكومية والقضائية واحتقار المسلمين و ... ولم يتساءل كل منا أثناءها : هل فعلنا شيئاً من أجل ذلك ؟ وما الذي يجب أن نقوم به لنحصل على هذا الترخيص كما حصل عليه اليهود من قبلنا ؟ أم أن تقصيرنا وسلبياتنا نغطي عليها دائماً بإبعاد المسؤولية عن ذواتنا !؟

مجلة الرائد

العدد : ٢٣٣ الموافق في ذو القعدة ١٤٢٢ هجري ٢٠٠٢/١ ميلادي

| عنوان المقال : المسلمون بين ظلم الأعداء والتقاعس عن الواجبات | الكاتب : عبد العزيز بلحاج |
|---|---|

إن المسلمين قد تكاثرت أعدادهم في السنين الأخيرة ، وازدادت أعداد الناشئين منهم في بلاد الغرب والحاملين لجنسياتها ، وما يوفره الغرب من إمكانيات هائلة ومن قنوات قانونية وديمقراطية تمنح للجميع فرصاً متكافئة ، يهيئ للمسلمين العديد من الإمكانيات والوسائل لفعل الكثير من أجل نصرة قضاياهم وتأمين حقوقهم .. إلا أن تقاعس وقصور هِمَم السواد الأعظم من المسلمين ، والانشغال بالخلافات والنزاعات الفكرية والمذهبية للنشطاء منهم ، يحول في كثير من الأحيان دون هذه المهام النبيلة .

وهكذا يتبين لنا من خلال هذه الجولة السريعة أننا في معظم الأحوال ضحايا تقاعسنا وقصور همتنا قبل أن نكون ضحايا المؤامرات وكيد الآخرين !! وإذا عزمنا فعلاً على تصحيح أوضاعنا والخروج من المأزق فعلينا أن نحاسب أنفسنا محاسبة الآخرين، وأن نلوم ذواتنا قبل لوم غيرنا : { ... **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ... } ( الرعد : ١١).